عن بريدة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُورًا وَاجْعَلْنِي صَبُورًا وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنَيَّ صَغِيرًا وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا»[1].

الآيات ٢٠٨-٢١٢

الدّعوة إلى قبول الإسلام واتّباع أحكامه وجزاء المخالف

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٠٨): نزلت الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، لمّا عظّموا السّبت وكرهوا الإبل بعد قبول الإسلام، قالوا: "يَا رَسُولَ اللهِ، يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمَ كُنَّا نُعَظِّمُهُ فَدَعْنَا فَلْنُسْبِتْ فِيهِ، وَإِنَّ التَّوْرَاةَ كِتَابُ اللهِ، فَدَعْنَا فَلْنَقُمْ بِهَا بِاللَّيْلِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[2]".

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنّهم حين آمنوا بالنّبيّ ﷺ، قاموا بشرائعه وشرائع موسى، فعظّموا السّبت، وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعد ما أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: إنّا نقوى على هذا وهذا، وقالوا للنّبيّ ﷺ: إنّ التّوراة كتاب الله، فدعنا فلنعمل بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

المناسبة: أوضح الله سبحانه وتعالى في الآيات السّابقة أنّ النّاس في الصّلاح والفساد فريقان: فريق يفسد في الأرض ويخرب العامر، وفريق يبغي بعمله رضوان الله وطاعته، وأتبع ذلك هنا بأنّ شأن المؤمنين الاتّفاق والاتّحاد، لا التّفرق والانقسام، فأمرهم بقوله: كونوا على ملّة واحدة، واجتمعوا على الإسلام واثبتوا عليه.

---

(١) رواه البزّار في مسنده، عن بريدة، حديث رقم: ٤٤٣٩، مسند: بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، الحديث حسن.
(٢) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن عكرمة، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا﴾، ج٣، ص٦٠٠.
(٣) ذكره الواحديّ في أسباب نزول القرآن، ج١، ص٦٨.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

س: لماذا تثور الفتن في آخر الزمان؟ ولماذا لا يأتي المهديّ المنتظر في زمن السّلم والرّخاء؟

ج: لقد كثر الدّمار الشّامل في بلاد الكفّار، وعمّت الحروب الأهليّة بلاد المسلمين، وانتشر الهرج والمرج فيما بينهم، وثارت الزّلازل والبراكين في غير مكان... والجواب في محكم هذه الآيات.

إنّ الإسلام قائم على ثلاثة أركان، يُضاف إليه ركن رابع ألا وهو ركن أشراط السّاعة، وقد اختصره حديث جبريل المشهور.

اعلم أنّ النّاس اليوم أربعة أقسام:

١. قسم تماهى مع أفكار الدّجال من العولمة والحقوق وصدّقها، كأمريكا وأوروبا وكلّ دولة قالت بالشّذوذ وأمثاله. فهذا الصّنف من العباد سوف يتعلّم من خلال الزّلازل والبراكين والدّمار الشّامل.

٢. وقسم علم أنّها فتنة وأنّها من الدّجال أو الشّيطان، ولكن غلب على قلبهم حبّ الدّنيا. فهذا الصّنف سيُمتحن بفتن تتساقط معها كلّ مظاهر زينة الحياة الدّنيا، وستسمع أنين قولهم: "والله إنّ الدّنيا قد خرجت من قلبنا" فهانت عليهم الدّنيا، وتلاشت أمانيّهم أمام أعينهم، كي يخرج الله تعالى حبّ الدّنيا من قلوب هؤلاء، كما أخرج تعالى حبّ العرش من قلب بلقيس، إذ إنّ بلقيس كانت تريد الدّخول في الإسلام ولكنّ تعلّقها بعرشها أثناها، فجاء سيّدنا سليمان عليه السلام بعرشها ونكّره لها، فلمّا رأته خرج حبّ العرش من قلبها فأسلمت لله مع سليمان عليه السلام. وهكذا سيُخرج الله تعالى بهذه الفتن حبّ الدّنيا من قلوب المسلمين وقلوب كثير من النّاس.

٣. وقسم أخذوا من الدّين الشّريعة، وأهملوا العقيدة والأخلاق المحمّديّة وعلم أشراط السّاعة.

فسيولّيهم الله تعالى على العباد، وسيرى النّاس العجب العجاب من حكمهم والاقتتال فيما بينهم، والفتن وما إلى ذلك، حتّى يتبيّن للنّاس أنّ هذا الدّين لا يقوم إلّا بأركانه جميعًا.

٤. وقسم نهجوا منهج السّلامة، واتّبعوا المدرسة الأبويّة وأخذوا الدّين كاملًا، ودخلوا في السّلم كافّة.

لذا كان الدّين النّصيحة كذا الرّحمة وجبر الخواطر، وهذه المعاني من الأخلاق، فالأخلاق هي التي تحكم الشّريعة، والشّريعة لا تصلُح بغير أخلاق. فإذا طبّقنا الشّرع دون أخلاق، تركنا ثغرة للتّلاعب، فمن أراد أن يتمسّك بركن الشّريعة ويتحلّل من الأخلاق والعقيدة، فقد أخذ من الدّين طرفًا وشوّه الدّين.

وقد صدق الإمام مالك رحمه الله حيث قال: مَنْ تفقَّهَ ولم يتصوّف فقد تفسّق، ومَنْ تصوَّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن جمعَ بينهما فقد تحقَّق.[1] فالدّين كامل، **عقيدة شريعة وأخلاق، مُزيّلًا بعلم أشراط السّاعة،** فمن أخذ طرفًا فقد اتّبع خطوات الشّيطان.

لذا كان لا بدّ من فتن تُخرج من قلوب العباد التّعلّق بالدّنيا وزينتها: فالأقسام الثّلاثة الأولى يصيبها اليأس، وهم أغلب النّاس على الكرّة الأرضيّة، فمن بايع من كان منهجه الشريعة من غير أن يكون مصحوبا معها الاخلاق، فسيظهر خطرهم على البشريّة وسيتبيّن اعوجاج طريقهم، فيصاب النّاس باليأس الشّديد بعد أن وضعوا كلّ آمالهم في دولة

(١) ذكره الملّا القاريّ في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عن الإمام مالك، كتاب: العلم، ج١، ص٣٣٥.

الإسلام والخلافة، فيظهر خلاف ما يظنّون وبشاعة ما يرون، وهكذا يأتي المهديّ وقد مُهّدت الأمور إليه وخرج حبّ الدّنيا وزينتها من قلوب أهلها. أمّا الفئة الرّابعة فلا يصيبها يأس لأنّها كانت على بيّنة من الخطأ الذي وقع فيه أغلب النّاس من الفئات الأولى، وهي كانت ولا تزال بانتظار المهديّ وقد نهجت نهج السّلامة.

فيأتي المهديّ بالسّلم كافّة أي بالإسلام كافّة، ملتزمًا بالدّين على منهج النّبوّة، عندها سيرى النّاس عزّ الإسلام والمسلمين والحكمة من شرع الله تعالى.

لقد قام الدّجال منذ مائة عام بوضع اللّبِنَة الأولى لفتنه، وبدأ اليوم بقطف ثمارها. ومع سقوط الدّولة العثمانيّة انتصر الدّجال، فاحتل جنوده وعملاؤه بلاد المسلمين، وفرضوا عليهم عقائدهم الباطلة، ونفثوا سمومهم وقسّموا النّاس إلى ثلاثة أقسام:

١. قسم استطاعوا أن يُكفّروه فزيّنوا لهم عقائد زائغة كالشّيوعيّة والاشتراكيّة والقوميّة...، فهؤلاء مسلمون باعتقادهم ولكنّهم تبنّوا الفكر الشّيوعيّ المؤدّي إلى الكفر.

٢. وقسم لم يستطيعوا تكفيره فهؤلاء متمسّكون بدينهم، ولكنّهم يتأثّرون بالأوضاع التي تحيط بهم، فكان عليهم إمّا وضع العلماء الصّالحين في السّجن أو تحت الإقامة الجبريّة، وإمّا منعهم من التّواصل مع وسائل الإعلام، ومن ثمّ الإتيان بعلماء جدد بحجّة التّجديد والإصلاح، فبدّلوا في الدّين خطوة بخطوة كأمثال: قاسم أمين وطه حسين وغيرهم كثير، فتارةً يقولون إنّ الحجاب ليس بفرض، وإنّ الإيمان والصّلاة في القلب، فغيّروا وبدّلوا ما شاؤوا من التّشريعات، واتّبعهم بعض النّاس وساروا على دربهم.

٣. والقسم الثّالث هم المُتديّنون الذين لا يقبلون تغيير دينهم، فقرّر الأعداء محاربتهم بأمرين اثنين:

أوّلًا: حذف مادّة العقيدة والأخلاق ومادّة أشراط السّاعة ومادة الجهاد في سبيل الله من التّعليم الدّينيّ، كي يصبح التّعليم في كليّات الشّريعة في العالم مقتصرًا على الفقه ومذاهبه- من حلال وحرام- إذ إنّ في الفقه ما يكفي من المسائل فليكتفوا بها، ومن المعلوم أنّ الفقه دون مادّة العقيدة والأخلاق يصبح كما قال النّبيّ ﷺ: ((لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ))[1]، إذ يصبح المُتديّن فاسقًا وبهذا يشوّهون صورة الدّين، فينشأ جيل قد فَهِمَ الدّين بطريقة خاطئة، ويظهر من المشايخ من كانت دراستهم أكاديميّة، درسوا في الجامعات والكليّات معتمدين المناهج المرعيّة، وغاصوا في الخلافات الفقهيّة دون مراعاة لأصول العقيدة، ومكارم الأخلاق، وانعدمت عندهم معرفة أشراط السّاعة، وكذا تلاميذ المدارس، فما نجا منهم إلا من كان مريدًا عند شيخ من مشايخ أهل الطريقة، فتمرّس في علم السّلوك والعقيدة، وهذه هي الفئة النّاجية.

ثانيًا: تجنيد أشخاص يطبّقون الشريعة بتشدّد، حتّى ينفّروا النّاس الذين يحبّون الوسطيّة في دينهم دون مغالاة.

إذًا، هكذا بدأت فتنة الدّجّال منذ مائة عام والآن يجني ثمارها، فكثير من أصحاب العمائم ليس عندهم أمانة ولا أخلاق ولا رحمة، لأنّهم لم يسلكوا علوم هذه المسالك، بل نشأوا على مفهوم أنّ من حفظ أكثر من القرآن أحبّه الله، مع أنّ النّبيّ ﷺ، قال: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ))[2]، فربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، فهذه هي فتنة الأمّة، وقد حان الآن قطاف ما أينع من ثمارها. فهؤلاء الّذين يُطبقون الدّين باسم الشّريعة وهم أبعد ما يكونون عن الأخلاق والآداب، مثال واضح للعالم عن فشل هذا الدين! وهذه هي

(١) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن أبي أمامة، حديث رقم: ٧٩٧٢، باب: الصاد، جعفر ابن الزبير، عن القاسم.
(٢) رواه الطّبرانيّ في المعجم الصغير، عن أبي سعيد، حديث رقم: ٦٠٥، باب: العين، من اسمه عبد الله.

خطوات الشّيطان التي حذّر منها رسول الله ﷺ في علم أشراط السّاعة، فقال: ﴿إِذَا وَلَدَتِ المَرْأَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الحُفَاةُ العُرَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا﴾[1]، وقال: ﴿لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ﴾[2] وذلك لنقض عُرى الأخلاق والاعتقاد والاقتصاد، فالغرب حكم بلاد المسلمين من خلال الاقتصاد. ذلك أنّه عندما تخلّينا عن زراعة قمحنا وصرنا نشتريه من الخارج، وتوقّفنا عن صنع أدويتنا واعتمدنا على الغرب في كلّ شيء، أحكموا قبضتهم على جميع مقوّمات الدّولة، فإن أعجزهم شيء قاموا بحصار اقتصاديّ وأرهبوا الشّعوب لإخضاعهم. لذلك فإنّ الأمر خطير جدًّا، فالدّجال يعمل خطوة بخطوة والشّيطان يعمل خطوة بخطوة، والأمور الآن في خواتيمها والأمّة بعديدها ومشايخها في سبات عميق، والحلّ الوحيد هو الالتزام بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. فهذه آية عظيمة تعني الالتزام بجميع أركان الدّين الإسلاميّ الذي يشمل الأوامر والنّواهي والتّوجيهات في شتّى شؤون الحياة، من تربية الأولاد وعلاج المشاكل الزّوجيّة والنّفسيّة، حتّى من النّاحية الطبيّة والاقتصاديّة، فمن ابتغى العزّة في تربية أولاده بأساليب غربيّة، أو باعتماد الاقتصاد الرّبويّ في معاملاته، فلن ينال العزّة. **فنحن قوم أعزّنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزّة فيما سواه أذلّنا الله.**

وهذا هو الجواب للسّؤال المطروح سابقًا، تبيّنه هاتان الآيتان، لذا قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بسيّدنا محمّد ﷺ في الظّاهر من أهل الكتاب، فإنّهم كانوا مع الإيمان مستمسكين ببعض أمور التّوراة والشّرائع التي أنزلت فيهم، ﴿ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ادخلوا في شرائع الإسلام ظاهرًا وباطنًا بحيث لا تهملوا شيئًا منها، ولا تلتفتوا إلى غيرها، كما يأمر المسلمين بالتّمسك بشرائع الإسلام كلّها، والبحث عن أحكامها وأسرارها ولا تدعوا شيئًا منها، وحسبكم الإيمان بالتّوراة وما فيها.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي طرقه الدّالّة على التّفريق والتّفرّق، فإنّه يأمركم بالسّوء والفحشاء، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي بيّن العداوة، فيوسوس إليك من عجزك عن القيام باستيفاء أحكام المعاملة، وتركِ نزعاتٍ لا عِبْرة بها، ولا ينبغي أن يُلْتَفَتَ إليها. ﴿فَإِن زَلَلْتُمْ﴾ أي عدلتم عن الحقّ وطريق الجادّة ففرّقتم بين أجزاء الشّريعة، أو التفتّم إلى غير شريعتكم. والزّلّة الواحدة بعد كشف البرهان، أقبحُ من كثيرٍ منها قبل ذلك. ومَنْ عُرِفَ في الخيانة لا يُعْتَمد عليه في الأمانة. ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بعد أن قامت عليكم الحجج والآيات الدّالة على صحّة هذا الدّين ونبوّة سيّدنا محمّد ﷺ، ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ﴾ فالعزّة لله وحده، ولا تنال العزّة إلا منه، فانّه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت، وهو غالب في انتقامه فلا يعجزه عقابكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الشّيء في موضعة. فاذا مال العبد عن شرع الله تعالى إلى طرق أخرى، لم يفز بمراده من العزّة وقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

أمر الله تعالى عباده المؤمنين، المصدّقين برسوله، أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، وأن يعملوا بجميع شعب الإيمان وبجميع أوامره ويتركوا جميع زواجره وهي كثيرة، ما استطاعوا منها. و كذلك أن يأخذوا بما في الكتاب والسنّة لحلّ جميع مشاكلهم الدّينيّة والدّنيويّة.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٧٧٧، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن أبي أمامة، حديث رقم: ٢٢١٦٠، مسند: تتمّة مسند الأنصار، مسند: أبي أمامة الباهليّ الصديّ بن عجلان، الحديث إسناده جيّد.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[١]

الظّلَل: أبواب السّماء اذا فتحت، كما في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[٢] وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾[٣]، وهو إتيان الملائكة في ظلل من الغمام.

وتلك أفعال في معنى الأحوال، يظهرها الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علوّ شأنه سبحانه وتعالى، ونفاذ قدرته فيما يريد. ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي انهتك ستر الغيب عن صريح التّقدير السابق، ولقد استغنت قلوب الموحّدين لما فيها من أنوار البصائر عن طلب التّأويل لهذه الآية وأمثالها، إذ الحقّ سبحانه مُنَزَّهٌ عن كلّ انتقال وزوال، واختصاص بمكان أو زمان، تقدّس عن كلّ حركة وإتيان.

لمّا استبطأ القومُ قيامَ السّاعةِ، أُخبروا عن شدّة الأمر إذا قامت السّاعة، فخاطب تعالى نبيّه ﷺ مهدّدًا إيّاهم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ ما ينتظر هؤلاء الممتنعون من الدّخول في شرائع الإسلام إلا أن تقوم السّاعة- يعني يوم القيامة- فيأتيهم الله للفصل بين عباده، ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ من العذاب سواء بالموت أو قبل الموت أو بعد الموت، بأن يتجلّى تعالى لعباده على ما يليق بجلاله، إذ تجلّيات الحقّ لا تنحصر، فحقائق الظُلل هي آيات الله تعالى وشرائعه، وهي من الرّوح الأصل الذي هو منشأ عالم الأمر وهو مصباح روح التّوحيد، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٤] أي كما كلّم الله تعالى سيّدنا موسى من جانب الشّجرة، فكذلك تأتي يوم القيامة غمامة عظيمة مهيبة منها يُسمع الخطاب الإلهيّ، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[٥] ففي هذه الرّوح يتجلّى الله سبحانه وتعالى لعباده بأسمائه وصفاته المُحكمة والمتشابهة، والظُلة قسمان: ظلّة عذاب وظلّة رحمة.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ تحيط بهم، فيجزي تعالى كلّ عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ، ولهذا قال ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بعذابهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كلّها، فهو المتصرّف وحده. وهذه الآية من الآيات المتشابهات التي لا نحتكم إليها في معرفة عقيدتنا، بل نؤمن بها و نفوّض معناها إلى الله، وننزّهه تعالى عن أيّ معنى يتبادر الى الذّهن من تشبيه الله بخلقه.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٦].

يقول الحقّ ﷻ ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ سل يا محمّد بني إسرائيل وهو سؤال تقريع، كم شاهدوا من حجّة واضحة جَاءَ بِهَا مُوسَى عليه السلام مِنْ فَلْقِ الْبَحْرِ وَالظُّلَلِ مِنَ الْغَمَامِ وَالْعَصَا وَالْيَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وكَمْ جَاءَهُمْ فِي أَمْرِك يا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ آيَةٍ مُعَرِّفَةٍ بِك دَالَّةٍ عَلَيْك، قاطعة على صدق رسالتك وعلوّ شأنك، اعتناء بأمرهم ونعمة على من أدرك زمانك منهم، ثمّ إنّهم بدّلوا نعمة الله كفرًا وجحدوها ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ أي آيات الله فإنّها سبب نعمة الهدى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن كفر نعمه وجحد رسله.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٧].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٠. (٢) سورة النبأ، الآية: ١٩. (٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٥. (٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٥) سورة النحل، الآية: ٢. (٦) سورة البقرة، الآية: ٢١١. (٧) سورة البقرة الآية: ٢١٢.

ثمّ أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدّنيا للكافرين ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم، ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي حسنت في أعينهم، وأشربت محبّتها في قلوبهم، حتّى تهالكوا عليها، وأعرضوا عن غيرها، فلم تتفرّغ قلوبهم للتّفكر والاعتبار، ولم تستمع آذانهم للوعظ والتّذكار، بل أعمتهم، وأصمّتهم، وقصروا عليها همّتهم، فرضوا بها واطمأنّوا إليها، وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أُمروا بها ممّا يرضي الله عنهم، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ حتّى جعلوا يسخرون ممّن أعرض عنها، أو أنفق ما حصل لهم منها في طاعة ربّهم، وبذلها ابتغاء وجه الله، فكانوا يستهزئون بهم، حيث رفضوا الدّنيا وأقبلوا على الله، فرفعهم الله في أعلى عليّين، وخفض الكفّار في أسفل سافلين، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ففازوا بالمقام الأسعد والحظّ الأوفر يوم معادهم، فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم.

وعبّر تعالى بالتّقوى لأنّها سبب رفعهم واستعلائهم. وأمّا استهزاؤهم بهم لأجل فقرهم، فإنّ الفقر شرف للعبد، والبسط في الدّنيا لا يدلّ على شرفه فقد يكون استدراجًا، وقد يكون عونًا ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ من خلقه، ويعطيه عطاء كثيرًا جزيلًا ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا حصر ولا تعداد في الدّنيا والآخرة، فيوسّع في الدّنيا استدراجًا وابتلاءً، ويقتّر على من يشاء اختبارًا وتمحيصًا، لا يُسئل عمّا يفعل وهم يسألون.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. وجوب قبول عقائد وشرائع وأخلاق الإسلام المتّفق عليها كافّة وحرمة التّخيّر فيها، بأن يقبل شيئًا ويعترض على شيء.

٢. من استحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا فقد نصّب نفسه إلهًا وبالتّالي فقد كفر، أمّا من ترك فرضًا أو واجبًا أو ارتكب معصية مع إقراره بخطئه فهو عاص، وقد وقع في خطوة من خطوات الشّيطان في ذلك، فليندم وليستغفر الله.

٣. الحذر كلّ الحذر من خطوات الشّيطان فإنّه يأتي على هيئة ناصح أمين. يحرّم عليك أمرًا من باب الحيطة أو يطالبك بإعادة الوضوء أو تكبيرة الإحرام ومن هنا تبدأ الوسوسة. ومن مثل ذلك: من شكّك في صحيح البخاريّ وبالتّالي بالسنّة، من باب الدّفاع عن رسول الله ﷺ، لأنّه ذكر أنّه سُحر. فيظهر بمظهر المدافع عن الدّين وهو في الحقيقة يحاول أن يهدم الدّين. ومن ذلك من يدّعي أنّه يدافع عن حقوق المرأة ويركّز على جريمة الزّواج بالقاصرات، وقد اخترع عمرًا لا دليل علميّ عليه- ١٨ سنة- ثمّ ينتقص من السنّة كيف أباحت للبنت بالزّواج بعد البلوغ بغضّ النّظر عن سنّها.

٤. هذا كلّه وغيره كثير من باب خطوات الشّيطان، فلماذا تتّبعه؟ أتبغي مصلحة الدّنيا والعزّ في الدّنيا؟ اعلم أنّك لن تنال هذا إلا من العزيز ﷻ، قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

٥. من معاني قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١]، الرّحمة: فالرّحمة هي قضاء الحوائج، فقد أرشدنا رسول الله ﷺ وعلّمنا الطّريقة المثلى لحلّ العديد من حوائجنا الدّنيويّة، مثال: الاقتصاد والطبّ والزّراعة والتّغذية والتّربية وحلّ المشاكل الزّوجيّة أو المشاكل الاجتماعيّة وما إلى ذلك... فليس لحلّ أيّ مشكلة أحكم من شرع الله الحكيم، إذ ليس بالإمكان أبدع ممّا كان.

٦. ما وجدنا فيه نصّ من قرآن أو سنّة لتوجيهنا في أيّ شأن من شؤون الحياة أخذنا به، فلا نبحث عن طرق أخرى. وما لم نجد له نصًّا نظرنا في الدّراسات والأبحاث الأخرى الموجودة ممّا لا يتعارض مع الشّريعة والعقيدة والأخلاق. فلا نستبدل الذّكر باليوغا، ولا الأخلاق المحمّديّة بقانون حقوق الإنسان، ولا الميراث الشّرعيّ بالميراث الوضعيّ، ولا الاقتصاد الإسلاميّ بالاقتصاد الرّبويّ.

٧. ينبغي توقّع العقوبة عند ظهور المعاصي العظام، لئلا يكون أمن من مكر الله، وهو تعالى يعفو عن كثير.

٨. إثبات صفة المجيء للرّبّ تعالى كما يليق بجلاله، مع الاعتقاد أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وذلك لفصل القضاء يوم القيامة.

٩. حرمة وخطورة التّسويف والمماطلة في التّوبة، وأنّها من أعظم وسائل الشّيطان.

١٠. التّحذير من كفر النّعم لما يترتّب على ذلك من أليم العذاب وشديد العقاب، ومن أَجَلِّ النّعم نعمة الإسلام فمن كفر به وأعرض عنه، فقد تعرّض لأشدّ العقوبات وأقساها. وما حلّ ببني إسرائيل من ألوان الهوان والدّون دهرًا طويلًا شاهد قويّ، وما حلّ بالمسلمين يوم أعرضوا عن الإسلام واستبدلوا به العقائد الغربيّة، من اشتراكيّة وشيوعيّة وديمقراطيّة وليبراليّة ثمّ القوانين الوضعيّة شاهد أكبر أيضًا.

١١. التّحذير من زينة الحياة الدّنيا والرّغبة فيها والجمع لها، ونسيان الدّار الآخرة وترك العمل لها. فإنّ أبناء الدّنيا اليوم يسخرون من أبناء الآخرة، ولكنّ أبناء الآخرة أهل الإيمان والتقوى، سيكونون يوم القيامة فوقهم درجات، إذ هم في أعالي الجنان والآخرون في أسافل النّيران.

التّوراة والإنجيل هما في الأصل من عند الله تعالى، ويجب علينا أن نؤمن بهما، لقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢]. ولكن لَحِق التّوراة والإنجيل التّحريف والتّبديل، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

وبسبب هذا التّحريف واختلاط الحقّ بالباطل فيهما، نهى رسول الله ﷺ أصحابه عن مطالعة كتبهم. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ على النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: ((أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي))"[٤]، ولهذا كان الصّحابة ينهون عن اتّباع كتاب غير القرآن، فالحقّ الذي في التّوراة والإنجيل يغني عنه ما في القرآن الكريم.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٦. (٣) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٤) رواه أحمد في مسنده، عن جابر، حديث رقم: ١٥١٥٦، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ولمّا كان القرآن أحسن الكلام، نُهوا عن اتّباع ما سواه، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]. ولهذا كان ابن عبّاس رضي الله عنهما يقول: "كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْدَثُ، تَقْرَؤُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ"[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَالْأَوْلَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ مَنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ وَيَصِرْ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْإِيمَانِ فَلَا يَجُوزُ لَهُ النَّظَرُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بِخِلَافِ الرَّاسِخِ؛ فيجوز له، ولا سيّما عند الاحتياج إلى الردّ على المُخالف، ويدلّ على ذلك نَقلُ الأئمّة قديمًا وحديثًا من التّوراة، وإلزامهم اليهود بالتّصديق بسيّدنا محمّد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النّظر فيه، لما فعلوه وتواردوا عليه[3]".

من أسماء الله الحسنى: العزيز

شرح الاسم: العزيز

للعزيز ثلاث صفات:

- يصعب الوصول إليه عزّ جاره وجلّ ثناؤه، فالله تعالى لا يُدرك، صعب النّوال. قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4].
- يحتاج إليه جميع الخلائق على الدّوام.
- لا وجود لمثله.

التّعلّق باسم الله العزيز:

الله يغنيك عن كلّ شيء، فلا تطلب العزّة إلا من الله لأنّك لا تحتاج إلّا إليه. ومن طلب العزّة من غيره أذلّه الله ولو بعد حين. إلهي ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك؟ طلب الهداية لأسباب العزّ.

الدّخول في زمرة أهل العزّ بالله، وهم أهل الطّاعة والإيمان، وأهل المحبّة والعرفان.

من أسماء الله الحسنى: الحكيم

شرح الاسم: الحكيم

- هو الذي يفعل ما ينبغي على النّحو الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.
- هو العالم بالأشياء على ما هي عليه، والآتي بالأفعال على ما ينبغي أن تكون عليه، وهو الذي تُستمدّ الحكمة منه.
- هو المُقدّس عن فعل ما لا ينبغي، يعني المنزّه عن فعل أمر لا ينبغي.
- هو الذي ليس له أغراض وليس على فعله اعتراض، أي ليس له مصلحة في شيء، لأنّه غنيٌّ عن كلّ شيء.
- هو الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصّواب، فأفعاله سديدة وصنعه متقن.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبيد الله بن عبد الله، حديث رقم: ٧٣٦٣، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: قول النّبيّ ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب.

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري، باب: قول الله تعالى: بل هو قرآن مجيد، ج١٣، ص٥٢٥-٥٢٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

- هو المُحكم لخلق الأشياء أي خلق كلّ شيء وأتمّه. وهو إتقان التّدبير وإحسان التّقدير. مع هذا، ليس المطلوب أن يخلق الله سبحانه وتعالى لك كلّ شيء جميل، فكلّ شيء جميل من حيث الحكمة. فالحكيم هو الذي خلق ما ينبغي وصوّره على النّحو الذي ينبغي وأخرجه في الوقت الذي ينبغي، لأنّه هكذا مخلوق في هكذا وقت وفي هكذا زمان. والمقصود منه أن تتعرّف إلى أسماء الله.

التّعلّق باسم الله الحكيم:

- بأن تثق بأنّه ما أمرك بأمرٍ إلا وفيه خيرٌ لك في دنياك وفي أُخراك، وما نهاك عن نهيٍ إلا وفيه شرّ لك في دنياك وأُخراك، سواءٌ عرفت الحكمة أم لم تعرف. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].
- بأن تثق به وبوعده وبحكمته في الأحكام والقضاء والقدر، وأنّ الله لو كشف عنك الغطاء وأراك حقيقة الأمر لاخترت ما اختاره الله لك، مثال: هذا المرض وهذا البلاء وهذا العدوّ، فتعيش راضيًا.

إنّ لصورة التّجلي التي يأتي فيها ربّنا سبحانه يوم القيامة مَظهرًا وحقيقة، فالحقيقة هي الظُّلّة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[2]، فعُلم بذلك أنّ مظاهر تجلّيه لعباده هي ظلل غمامة، وحقائق هذه الظّلل آياته القرآنيّة، التي تعرَّف بها لخلقه بواسطة أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم.

قال رَسُولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ- ضوء-، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»"[3].

وقد تقرّر أنّ التّجلي هو عبارة عن ظهور تجلٍّ أعظم بصورة- أي بصفة- منزّهة مقدّسة، على حسب استعداد الإنسان المتجلَّى له، وعلى حسب معرفته، ولا يكون إلا بقدر استعداد المتجلَّى له.

وقد أجمع العلماء والعرفاء وعلماء الشّريعة والحقيقة كلّهم على إثبات وحدانيّة الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنّه سبحانه منزّه عن الحلول في شيء ما، ومنزّه عن الاتّحاد بشيء ما، ومنزّه عن جميع صفات المخلوقين.

وفي هذا تهديد لمن كفر بالله تعالى واليوم الآخر، ووعيد له شديد لعلّه ينزجر أو يتذكّر فيعتبر، ويرجع عن إنكاره وكفره.

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم الله العزيز:

- هو بأن ترفعَ همّتكَ عن الخَلْقِ وتعتمدَ على العزيز الحقّ، فلا تطلب العزّة إلّا منه. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن النوّاس بن سمعان، حديث رقم: ٨٠٥، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.
(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.

- من أرادَ عزًّا لا يفنى فلا يستعزَنَّ بعزٍّ يفنى.
- من تعزّزَ بمخلوق زال عزُّه.

التّخلّق باسم الله الحكيم:

- بأن تكون حكيمًا في أقوالك وأفعالك، وجميع أمورك.
- بأن تَنظُرَ في عواقِبِ الأُمورِ وأنَّكَ إذا كَرَّرْتَ ما فَعَلَهُ غيرُكَ فستُواجِهُ النّتيجَةَ نفسَها الّتي واجَهَها. فانظُرْ أينَ وَكيفَ نَجَحَ الآخرونَ لِتَنْجَحَ؛ وَانْظُر: ما هي أسبابُ فَشَلِ الآخرينَ أو تعثُّرِهم لِتَتَجَنَّبَهُ.
- بأن تتّبع الحكم في القرآن والسُنّة وتلتزم بها.

الحكمة: "أنت حرٌّ ممّا أنت عنه آيس، وعبدٌ لما أنت فيه طامع"[1].

التوجيهات:

- احذر الشّيطان ووساوسه، وتذكّر دائمًا أنّ له خطوات يستدرج بها المؤمن. فأكثِر من الاستعاذة بالله منه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.
- الثّبات على الدّين والقيم والمبادئ أمان للفرد والمجتمع، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

في السّيرة والشّمائل

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»[2].

في السّلوك

الإشارة: أمر الحقّ ﷻ جميع عباده بالصّلح معه والاستسلام لأحكامه، بحيث لا يَصْدُر منهم نِزَاعٌ لأحكامه، ولا اعتراض على أفعاله، بل يَنظرون ما يبرز من عنصر القدرة، فيتلقَّونه بالرّضى والتّسليم، أو الصّبر والتّصبّر، سواء ظهرت هذه الأفعال على أيدي الوسائط أو بلا وسائط، إذ لا فاعل سواه، وكلٌّ من عند الله، فإن زللتم واعترضتم، أو سخطتم، من بعد ما جاءتكم الآيات البيّنات الدّالة على وحدانيّة الحقّ في ذاته وصفاته وأفعاله، فاعلموا أنّ الله عزيزٌ حكيم، لا تعجزه عقوبتكم وإبعادكم، لكنّه من حكمته يُمهل ولا يهمل، والله غالبٌ على أمره، ومن تاب تاب الله عليه.

الإشارة: في الآية تهديدٌ لأهل الحجاب الذين لم يتحقّقوا بالصلح مع الله، بل هم يخاصمون الله في مظاهر خلقه، ويعترضون على الله في قضائه وحكمه، فقال لهم الحقّ ﷻ: هل ينتظر هؤلاء المنكرون عليَّ في أفعالي، المعترضون عليَّ

(١) ذكره ابن عجيبة في الحكم العطائيّة، ج١، ص١٦٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٧٩١٥ من كتاب وباب: الرقاق، الحديث صحيح.

في حكمي وإبرامي إلا أن أتعرّف لهم في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وهو سحب الآثار، فإذا أنكروني أخذتهم الملائكةُ، وقضي الأمر بهلاكهم، وإلى الله تُرجع الأمورُ كلّها، فليلتزم العبد الأدب مع مولاه، وليُسلّم الأمور كلّها إلى الله، إذ لا موجود سواه، فما برز من العباد كلّه من الله، فمن اشتغل بعتابهم فاته الأدب مع الله، إلا ما أمرَت به الشّريعة، فليكن في ذلك كالعبد يُؤدّب ابنَ سيّده، يده تؤدّب وقلبه يعظم، والله تعالى أعلم وأرحم.

الإشارة: ما قيل لبني إسرائيل، يقال لمن تحقّق بولاية وليّ من أولياء الله، ثمّ جحدها وكتمها، وحرَم نفسه بركة ذلك الوليّ، فمات على مرضه، فيقال له: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾. وعقوبته: أن يلقى الله بقلب سقيم، فيُبعث مع عوامّ أهل اليمين ويشدّد عليه الحساب يوم الدّين، ويُحرم درجة المقرّبين، التي تلي درجة النّبيّين والمرسلين. عائذًا بالله من الحرمان، وشُؤمِ عاقبةِ الخذلان.

الإشارة: اِعلم أنّ عمل أهل الباطن كلّه باطنيّ قلبيّ، بين تفكّر واعتبار، وشهود واستبصار، أو نقول: بين فكرة ونظرة وعكوف في الحضرة، فلا يُظهرون من أعمالهم إلا المهمّ من الواجبات، ولذلك قال بعضهم: إذا وصل العمل إلى القلوب استراحت الجوارح، - ومعلوم أنّ الذرّة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح- لأنّ أعمال القلوب خفيّة، لا يطّلع عليها ملك فيكتبها، ولا شيطان فيفسدها، الإخلاص فيها محقّق.

وسئل رسول الله ﷺ: "أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ بِاللهِ تعالى» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ بِاللهِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ عَنِ الْعَمَلِ وَتُخْبِرُنِي عَنِ الْعِلْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ الْعِلْمِ وَإِنَّ كَثِيرَ الْعَمَلِ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ»[1] ذلك أنّه لمّا خُفيت أعمال أهل الباطن سخر منهم أهل الظّاهر، واستصغروا شأنهم حيث لم يروا عليهم من الأعمال ما رأوا على العُبّاد والزُهاد. والذين اتّقوا شهود ما سوى الله أو كلّ ما يشغل عن الله فَوْقَهم يوم القيامة، لأنّهم من المقرّبين وغيرهم من عوامّ المسلمين، والله يرزق من يشاء في الدّارين بغير حسابٍ، أي بغير تقدير ولا حصر، فيرزق العلوم، ويفتح مخازن الفهوم على مَن توجّه إلى مولاه، وفرّغ قلبه ممّا سواه.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»[2].

(١) رواه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٢١٤، كتاب وباب: جامع في فضل العلم.
(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، عن ابن عمر، حديث رقم: ٣٥٠٢، ٤٥- أبواب الدعوات، الحديث حسن غريب.